خلفيــة تاريـخيـــــة

أصـــبحت مصر جـــزءاً من الدولة الإســـلامية في خلافة عمر بن الخطاب() عندما عهد الى قائده عمرو بن العاص[1] سنة 20هـ مهمة تحريرها من البيزنطيين، ومنذ نجاح المهمة حكم الخلفـاء الراشـدون مصر من (11–40هـ/632–660م) ليعقبها بعد عقــدين حــكم عــدد مـن الدول الاسلامية المتعاقبة، كل من الأمويين(41–132هــ/ 661–750م) والعباســـيين (132–656هـــ/750–1958م) وفيما بعـــــد الفـــاطميين (358 –567هـــ / 968–1171م)[2]. ومن جهة اخــرى

---

1)) هو عمرو بن العاص بن وائل الامام، ابو عبد الله ويقال له ابو محمد السهمي، فتح مصر واصبح والياً عليها الى ان عزله عنها الخليفة عثمان بن عفان() سنة25هـ، فعاش مدة في فلسطين ولما ولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة (41 – 60هـ/ 661 – 680م) أعادهُ الى الامارة سنة 38هـ / 658م، الى ان توفي سنة 43هـ.للمزيد من المعلومات عن سيرته انظر احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ابن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ط1(بيروت:مط دار صادر، 1960م)، جـ2،ص62؛ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك، ط1 (لندن: مط دي نحوي، 1881م)، جـ2، ص79؛ ابو عمر محمد بن يوسف الكندي، الولاة والقضاة، ط1(لندن:مط بريل،1917م)، ص87؛عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحق عبد الوهاب النجار، ط 1(القاهرة: د. مط، 1348هـ)، جـ2،ص29؛ ابن حجر،الاصابة في تمييز الصحابة، ط1(القاهرة: د. مط،1923م)، جـ5،ص13؛ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحق مصطفى السقا وكمال المهندس،ط1(القاهرة: مط دار الكتب،1969م)،ص ص20 – 29وانظر ايضاً حسن ابراهيم حسن،تاريخ عمرو بن العاص،ط1 (القاهرة: د. مط، 1926م).

2) (عن الدولة الفاطمية انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ6، ص200؛ ابن تغـري بـردي،النجـوم الزاهـرة، جـــ4،ص ص89 –100وانظر ايضـاً حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية،ط3 (القاهرة: مط النهضة المصـرية، 1964م)؛ محمد كــــــرد علي، خطط الشــــــام، ط3(دمشق: مط الحديثة، 1925م)، جـ2، ص ص223 – 225؛ ايمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر،ط1(القاهرة: مط الدار اللبنانية،1992م).

تمتعت مصر بعـض الوقت ولأول مرة بالاستقلال عن العباسين عـلى يد الطولونيين[1] (254 –292 هـ/ 868 –905 م). ومن ثـم الإخشيديين (323–358 هـ/ 937 – 969م) [2].

حكم مصر عــدد من الــولاة العــرب حــتى عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (218–227هـ/833 –842م) الذي يقترن عهده ببداية ظهور استخدام الاتراك في الجيش الذي عمل على تصفية العنصرين الخراســاني والعــربي فيــه، مع ان مصر بقيت ادارياً تابعة لعاصــمة الخلافة العــباســـية بغـــداد حـــتى تمـــكن احـــمد بن طـــولون من اســـتغلال حـــالة الضـــعف الـتي مــرت بها دولـــة الخـــلافة ببغـــداد، فأعـلن اسـتقلال مصـر بشـكل الـدولة الطـولونية. وقـد عـمد الأمـير احـــمد بن طـــولون مـــنذ بـــداية عـــهده إلى الإكـــثار مـــن شـــــراء

1 (?) تنسب إلى مؤسسها احمد بن طولون الذي كـان واليـاً عليها وتمكن من توحيد مصر والشام معلناً اسـتقلالها عن الخلافة في بغـداد، وكـان قد تـزوج من ابنة الخليفة المعتضد بالله (279 – 289هـ/ 892 – 902م) ومن اعماله بناء جامعه المعروف في القاهرة، وكانت مدة حكمه ما بين (254 270هــ/ 868 – 883م). للمزيد عن هذه الدولة ومؤسسها انظر ابو جعفر احمد بن ابي يعقوب يوسف بن ابراهيم المعروف بأبن الداية، سيرة ابن طولــون، ط 1(القاهرة: د. مـط، بلا0ت)؛ شـمس الـدين محمد بن احمد ابن عثمـان ابن قايماز الذهبي التركمـاني،سـير اعلام النبلاء،تحق شـعيب الارنـاؤوط ومحمد نعيم الفرقسوس،ط9(بيروت: مط مؤسسة الرسالة، =
= 1413 هـ)، جـ2، ص49وانظر ايضاً الزركلي، الاعلام،جـ10،ص111؛ حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي، ط7 (القاهرة: مط المكتبة المصرية، 1965م)، جـ3، ص ص126 – 130.

2)) تنسب في اسمها الى اللقب الذي منحه الخليفة العباسي الراضي باللــه(322-329هـ/ 934-940م) الى محمد بن طغج(323-334هـ/ 935-946م) وتعني ملك الملـوك عنـدهم. للمزيد عن تكـوين الدولة الاخشـيدية انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ1، ص131؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ3، ص237وانظر ايضاً حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، جـ3، ص ص135-140؛ محمد كرد علي، خطط الشام، جـ2،ص ص212-216.

المماليك[1] من بلاد الـديلم[2] الواقعة الى الجنـوب من بحر قـزوين، وذلك لأسـتفادته منهم في تثـبيت سـلطانه في البلاد. وقد انتهج الإخشيديون من اتباع كافور الاخشيدي(355– 357هـ/ 966-967م) نفس سياسة الاسـتقلال هـذه، فضـلاً عن لجـوء الطولونـيين ومن بعـدهم الفـاطميين الى الاكثـار من شـراء هـؤلاء المماليك -الاتـراك واسـتخدامهم في وحـدات الجيش الـذي ضم مرتزقة جلبـوا من المغرب ايضاً0

غير ان التحول الحقيقي في هـذه السياسة جـاء ايـام الايوبـيين (567-648هـ/ 1171–1250م)[3] وبالتحديد خلال حكم سـابع

---

1 (?) تعني كلمة مملوك العبيد او الرقيق الـبيض المشـترين بالمـال من بلاد الترك او الروم او الزنج وحتى من بلاد فارس وسموا عند العباسيين غلمان، ومفردها غُلام، والمملوك عكس العبد،فالعبد يولد من الرقيق بينما المملوك يولد من أبوين حُرين ويبُاع، كما ان العبد يكون اسـوداً بينما المملـوك ابيض البشرة غالباً. ويعود المماليك في اصلهم الى منـاطق اسـيوية واوربية سواء منهم الـتركي والجركسي والـرومي والـزنجي والحبشي وحـتى الفارسي، حيث يقعـون بسـبب الحـرب او ما شـابه بأيـدي انـاس يقومـون بـبيعهم في المـدن العربية والاسـلامية، فيعمد سـلاطين البلاد وامـرائهم الى شـرائهم بأبهـظ الاثمـان لأسـتخدامهم في حجر دار الخلافة حـتى كـونت منهم فـرق عسـكرية خاصة بالسـلطان او الامـير، وكـان المعتصم بالله (218–227هـ/ 833–842م) الخليفة العباسي اول من اسـتخدمهم. انظر ابن منظـور، لسان العرب،جـ3، ص ص383–384؛ ابن خلـدون، العـبر،جـ5، ص373؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ1،ص ص366-367وانظر ايضـاً احمد مختـار العبـادي، قيـام دولة المماليك في مصر والشـام، ط1(بـيروت: مط دار النهضة،1969م)، ص10؛ سعيد عبد الفتـاح عاشـور،العصر الممـاليكي في مصر والشـام، ص12؛ انطـوان خليل ضـومط، الدولة المملوكية التـاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري،ط1(القاهرة: مط دار الحداثـة، 1982م)، ص 5؛ السيد الباز العريني، المماليك، ط1(بيروت:مط دار النهضة المصرية، 1967م)، ص ص54 – 55؛ حسن وعلي ابـراهيم حسـن، النظم الاسلامية،ص ص371-72؛ انور زقلمه، المماليك في مصر،ص ص16-17؛ Stanly.Lane – Pool، Ahistory of Egypt، London – 1968 ، P.10

2 (?) جبل سمي بارضهم (الديلم) وهي من جبـال قـرب جيلان. صـفي الـدين عبد المـؤمن بن عبد الحق البغـدادي، مراصد الاطلاع على اسـماء الامكنة والبقـاع، تحق علي محمد البجلي، ط1(القـاهرة: مط دار احيـاء الكتب العربية،1954م)،جـ2،ص581.

3 (?) اسـرة كردية الاصل حكمت مصر والشـام واليمن ترجع في اسـمها الى نجم الـدين ايـوب من قبيلة الهندبانية والـذي عمل في خدمة الاتابك عمـاد

سـلاطينهم الملك الصـالح نجم الـدين ايـوب (637–647هــ/1229–1249م) [1]0 الذي استخدم إعدادا هائلة من هؤلاء المماليك لخدماته الخاصة بالسلطنة عن طريق البحر من شبه جزيـرة القـزم والقوقـاز وبلاد فارس، وكونوا ما يقرب من(1000مملوك)0أسكنهم في ثكنات عسكرية خاصة بهم في قلعة الروضة، الـتي بناها قبلاً بتلك الجزيـرة

الدين زنكي وهو والد صلاح الدين الايوبي الذي اشـترك مع عمه اسد الـدين شـيركوه في الحملات الثلاثة المتجهة الى مصر والـتي انتهت بالقضـاء على الدولة الفاطمية. للمزيد من المعلومـات عن هـذه الدولة وسـلاطينها انظر عماد الـدين ابو عبد الله محمد بن العمـاد الاصـفهاني، الفتح القسي بـالفتح القدسي، ط1(القــاهرة:مط الــدار، 1321هـــ)، ص ص332-ــ 335؛ ابو المحاسن يوسف بن رافع الاسدي ابن شداد، النـوادر السـلطانية والمحاسن اليوسفية، تحق جمال الدين الشيال، ط1(القاهرة: مط الدار، 1962م)،ص ص44،126،410؛ جمــال الــدين عبد الله محمد ســالم بن نصر الله ابن واصــل، مفــرج الكــروب في اخبــار بني ايــوب، تحق حسـنين محمد ربيع، مراجعة سعيد عبد الفتـاح عاشور، ط1(القـاهرة: مط دار الكتب، 1977م)؛ احمد بن ابــراهيم الحنبلي، شــفاء القلــوب في منــاقب بني ايــوب، تحق نــــاظم رشـــيد، ط1(بغـداد: مط وزارة الثقافة والاعلام، 1978م) وانظر ايضاً هاملتون جب، صلاح الدين الايوبي دراسات في التـاريخ الاسـلامي، تر. يوسف ايبش، ط1(بـــيروت:مط المؤسسة العربية للدراســـات والنشر، 1973م)؛ العريـني، الشـرق الادنى في العصـور الوسـطى(الايوبـيين)، ط 1(بيروت: مط منبسين بـريس،1967م)؛ علي بيـومي، قيـام الدولة الايوبية في مصر، ط1(القـاهرة: مط دار، 1952م)،احمد فـؤاد سـيد، تـاريخ مصر الاسـلامية زمن سـلاطين بني ايـوب، ط1(القـاهرة: مط مكتبة مــدبولي، 2002م)**.**

[1] (?) الصـالح نجم الـدين ايـوب محمد الكامل بن محمد العـادل، تـولى حكم مصر بعد قضاءه على اخيه العادل، كون فرقة من المماليك البحرية عـرفت بأسـمه (المماليك الصـالحية والنجميــة) والـتي كـانت نـواة دولة المماليك الاولى. للمزيد عن سـيرته انظر كمــال الــدين عبد الــرزاق ابن الفــوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعـة في المائة السـابعة، تصـحيح مصـطفى جـواد، ط1 (بغـداد: مط الـدار،1351م)، ص ص114-115؛ صـارم الـدين ابـراهيم بن محمد بن آيـدمز العلائي الملقب بـأبن دقمـاق، نزهة الانـام في تـاريخ الاسـلام، تحق سـمير طيـاره،ط1(بـيروت: مط المكتبة المصـرية، 1999م)، ص ص117 –118؛ المقريزي، السلوك،جـ1،ص344؛ حسن بن حسـين بن احمد الطولـوني، النزهة السـنية في اخبـار الخلفـاء والملـوك المصرية، ط1(القاهرة: د. مط،= = 1302هـ)، ص ص136 – 138وانظر ايضــاً فاطمة زبـار عنـيزان الحمـداني، الملك الصـالح نجم الـدين ايــوب وانجازاته السياسية والعسكرية، (جامعة بغداد: كلية الاداب، 1995م).

الواقعة في وسط نهر النيل، الـتي عـرفت بأسم جزيـرة الروضة[1]، ليساعدوه في تثـبيت سـلطانه على البلاد، والقضـاء على تمـرد الجند والامراء الاكراد0وقد عرفت هذه النواة من المماليك بأسم المماليك البحرية[2] واطلق عليهم البعض ايضاً المماليك الصـالحية او المماليك النجمية[3]، الـتي اصـبحت تشـكل بـذرة الانطلاق الاولى لقيـام الدولة المملوكية وقاعـدتها مصر (القـاهرة)، ابتـداءاً بعهد الملك عز الـدين

---

1 (?) محلة من محال الفسطاط وسميت جزيرة لان النيل اذا فاض احـاط بها الماء وحـال بينها وبين معظم الفسـطاط وبها جـامع ومنـتزه. ابن دقمـاق، الانتصار لواسطة عقد الامصار،ط1 (بـيروت:مط المكتب التجـاري للطباعة والنشر، 1893م)،ص ص109–110؛ المقريـزي، الخطط، جـ2، ص ص 177،183وانظر عبد العـال عبد المنعم الشـامي، مـدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي،ط1(الكويت: مط كلية الاداب، 1981م)،ص53.

2 (?) سموا بالبحرية نسبة الى مقرهم في جزيرة الروضة على نهر النيل حيث استطاعت هذه الجماعة فيما بعد بقيادة الامير بيبرس واقطاي وقطز ان تكون قوة عسكرية عملت مع امرائها في البداية على تثبيت سلطان سيدهم الصالح نجم الدين الايوبي ثم حولوا ولاءهم الى رؤساء تنظيمهم مستغلين ضعف الايوبيين والقضاء على اخر سلاطينهم توران شاه وتأسيس الدولة المملوكية الاولى. للمزيد عن هذه الدولة انظر بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة،ص ص2-3؛ابن أيبك الدوادار،كنز الدرر،جـ7،ص ص390 – 400؛المقريزي، الخطط،جـ2، ص237وانظر ايضاً السير وليم ميور، تاريخ دولة المماليك في مصر، تر. محمود عابدين وسليم حسن، ط1(القاهرة: مط مكتبة مدبولي، 1995م)؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام؛ انطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري؛ علي ابراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر بوجه خاص؛ نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: نظم الحكم والادارة، موسوعة الحضارة العربية الاسلامية، م3،ط2(دمشق: مط مروس برس، 1995م)، ص ص 200-215؛ مصطفى زيادة: بعض ملاحظات في تاريخ المماليك البحرية، مجلة كلية الاداب،م4،جـ1 لسنة 1936،ط2 (القاهرة: مط جامعة فؤاد الاول، 1953م)، ص ص 71-74.

3 (?) نسبة الى الصالح نجم الدين ايوب للدلالة عن هؤلاء الاجناد الـذين كـانوا يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان في السـفر كـالحرس، وعرفـوا بأسم البحرية لتميزها عما كان هنـاك من فـرق بحرية اخـرى منسـوبة لمن سـبقه من امثـال السـلطان العـادل والد الكامل وجد الصـالح. انظر بـيرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص111؛ النـويري، نهاية الارب، جـ29، ص278؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ5،ص459؛ المقريزي، السلوك، جـ1،ص223؛ نفسه، الخطط، جـ2، ص217؛السيوطي، حسـن المحاضرة،جـ2،ص80.

أيبك التركماني (648-655هـ/ 1250-1257م)[1] بالتعـاون مع ارملة السلطان الأيوبي الراحل المسماة شجر الدر[2]0

يعمد المؤرخــــون الى تقســـيم الســـلطنة المملوكية (الدولة المملوكية) التي حكمت مدة مئتين وخمسين سنة الى دولـتين طبقـاً لنسب سـلاطين المماليك الــذين تولــوا فيها من المماليك الاتــراك، فالـدولة الممـلوكية الاولــى حكمت بين السـنوات 648 – 784هــ/ 1250 –1382م وتحمل اســم (دولــة المــماليك البحــرية)، تولــى

[1] (?) هو عز الـدين أيبك الجاشـنكير الصـالحي التركمـاني كـان قد تـزوج من ارملة سيده الصالح شجر الدر الـتي تـولت امـور البلاد بعد مقتل ابن زوجها السابق توران شـاه على يد الامـير بيـبرس مقـدم البحرية الـذي حكم مصر سـنة 648هــ/ 1250م. ويعدّ واحــداً من امــراء البحرية وليس من قياداتها اللامعين،حيث تــولى الحكم في تلك المــدة الحرجة من انتقــال الحكم من الأيوبيين إلى المماليك، وقد عـرف عنه بـالحزم والشـجاعة،واجه العديد من المشاكل انتهت بقتله على يد الامراء البحرية بتدبير وتشجيع من لدن زوجته شجر الدر سنة 655هـ/ 1257م. للمزيد عنه انظر المقريزي، الخطط،جـ2، ص237؛ ابن تغــري بــردي، النجــوم الزاهــرة، جــــ7،ص3-15؛محمد الاســحاقي،اخبــار الاول فيمن تصــرف في مصر من اربــاب الــدول، ط 1(القاهرة: مط الازهر،1311هـ)، ص ص131-132 وانظر ايضاً سـعاد علي باشا، الخطط التوفيقية الجديـــدة لمصر القـــاهرة ومــــدنها وبلادها القديمة والشهيرة،ط1(القاهرة: مط بـولاق مصر المحمية، 1306هــ)، ص ص36 - 37؛ سـعيد عبد الفتـاح عاشـور،مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص ص7-15.

[2] (?) لقبت بعصــمة الــدين، ملكة مصر، اصــلها من جــواري الملك الصــالح المملوكيــات، قـادت الجيش المملــوكي في معاركه ضد الصــليبيين بعد ان تمكنت من اخفـاء خـبر مـوت زوجها عن العامة ثم احتلت عـرش مصر بعد مقتل تـوران شـاه الابن الثـاني لزوجها الراحل.لم تسـتمر طـويلاً في حكم مصر الا بضعة اشهر. للمزيد عنها انظر محي الدين بن عبد الظاهر، تشريف الايام والعصور في سـيرة الملك المنصـور، تحق مـراد كامل،ط1(القـاهرة: مط العربية للطباعة والنشر، 1961م)،ص39؛ ابن الفــوطي، الحــوادث الجامعة، ص392؛ ابو الفداء، المختصر، جـ 3، ص86؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، جــــ13، ص192؛ زين الـــدين عمر بن مظفر بن عمر ابن ابي الفوارس الوردي،تاريخ ابن الوردي، تحق احمد رفعت البداري، ط2(بيروت: مط دار المعرفة، 1970م)، جـــ2،ص183؛ ابن كثـير، البداية والنهاية، جـــ 13،ص199؛ ابن خلدون، التعريف بأبن خلـدون ورحلته غربـاً وشـرقاً، ط1 (بـــيروت: مط دار الكتـــاب، 1979م)، ص349؛ ياســين بن خـــير الله العمري،الروضة الفيحاء في تواريخ النسـاء،تحق رجـاء محمـود، ط1 (د. م: دار العربية الموسوعة، 1987م)،ص ص281-283.

خــلالها الســلطنة ســبعة وعشــرون سلطــاناً مــا بين حــكم السـلطان المعــز أيـبك والسلطـان حـاجي، فـيما عــرفت الــدولة الثانـية بأســم (دولــة المماليك البرجية)[1] ذوي الاصول الجركسية[2] وقد تشـكلت وحـداتهم على يد السـلطان الملك المنصـور قلاوون (

1) يرجع اصل تكوينها الى ايــام الســلطان قلاوون حين عــزم نحو ســنة 681هـ/ 1281م على تكوين فرقة جديدة من المماليك لتسـانده في تثـبيت حكمه من دون الفــرق الاخــرى مثل الفرقة الظاهريــة(مماليك الظــاهر بيبرس) وسماها نسبة الى مناطق جلبهم من شمال غرب القوقاز، استغلت ضعف آخر سلاطين المماليك البحرية مكونين دولتهم الجركسية، وقد انتهت بهزيمتها امام الدولة العثمانية سنة 923هـ/ 1517م. للمزيد عن هذه الدولة انظر النـويري، نهاية الارب، جــ1، ص247وجــ14،ص338؛ العيني، عقد الجمــان، جــ2،ص666 وانظر ايضــاً حكيم امين عبد الســيد، قيــام دولة المماليك الثانية، ط1 (القاهرة: د. مط، 1948م)، ص ص8-15؛ السيد وليم ميــور، تــاريخ دولة المماليك في مصر، ص13؛ محمد كــرد علي، خطط الشام، جـ2، ص ص59-60؛ سعاد باشا، الخطط التوفيقية،ص ص40-50؛ ابـراهيم علي طرخــان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ص1-5؛ بروكلمان، تاريخ الادب العربي، جـ3، ص ص45-50؛ زكي محمد حسن، في مصر الاسـلامية، ط1(القـاهرة: مط المقطف والمقطم،1937 م)، ص ص13-15وانظر ايضــاً مصــطفى زيــادة: نهاية ســلاطين المماليك،مجلة الجمعية التاريخية المصرية، م4، عدد 1 لسنة 1951م.

2 (?) اسم يطلق على الاقوام التي كانت تسكن فيما مضى القسم الشـمالي الغـربي من القوقـاس (بلاد قوبـان)، وقسـماً من الشـاطئ الشـرقي للبحر الاســود، ولم يبقى من هــذه القبائل بعد الفتح الروسي للبلاد إلا عــدد قليل هـاجر معظمهم الى تركيا اوالى اسـيا الصـغرى خلال هـذه الحـرب. فكـانت اربع قبائل وهي (جــرك او شــركس، واذكش والآص وكســا وتتفــرع منهم بطـون كثـيرة منهم أبـاذا وكبكا وجنا وبوله وبزدغـو وغـيرهم). وليس لـدينا معلومات كثيرة عن اصل الجركس هـذا سـوى ما يـروى، ان جبلة بن الايهم لمى ارتد عن الاسلام سـار الى هرقل صـاحب الـروم ولما هـرب هرقل من انطاكيه حين فتحها الصحابة (رضي الله عنهم) في سـنة 17 هــ ركب البحر الى بلاد القسـطنطينية ومعه خمس مائة رجل من قومه من عــرب غســان فتنصـروا كلهم وأقـاموا عنـدهم الى ان تـوفي ملك القياصـرة فتحـيزوا الى جبال الجراكسة فـاختلطوا هنـاك بالجراكسة فـتزوجوا منهم نسـاء وتزوجـوا الجراكسه منهم نسـاء فـأختلطوا بعضـهم البعض لـذا يـزعم البعض ان اصل الجراكسة من نسب عــرب غســان. ومن هنا جـاء رواية اخــرى عن هــروب صاركس الرجل الجركسي العربي من بني غســان الــذي حكم عليه الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بالقتل لدفعهِ لرجل فقير وقتلهِ بعد ان رفض اهل ذلك

679-784هـــــــــ / 1279-1382م) [1]، اما حكمهم فقد امتد بين السنوات 784 – 923هـ/ 1382– 1517م، بعد ان جلبهم واسكنهم في ابراج بقلعة الجبل[2] ومنها اقترن الاسم البرجية[3]0

ومن الجدير بالذكر ان حكم سـلاطين المماليك البحرية من خلال تقـــربهم للخلافة العباســية واستضـــافتها في مصر بعد زوال حكمها

الرجل اخذ ديته. انظر العيـني، الـروض الزاهـرة في سـيرة الملك الظـاهر ططـر، تحق هـانس ارنسـت، ط1(القـاهرة: مط دار احيـاء الكتب العربيـة، 1962م)،ص5وانظر ايضا عبد الوهـاب عـزام، مجـالس السـلطان الغـوري، (صفحات في تـاريخ مصر في القـرن العاشر الميلادي)، ط1 (القـاهرة: مط لجنة التـأليف والترجمة والنشــر، 1941م)، ص85؛ راشد رســتم: مــادة جركس، دائرة المعارف الإسلامية، م6، ص ص 373-340.

1 (?) هو المنصور سيف الـدين قلاوون الالفي اصـله من مماليك الصـالح نجم الدين ايـوب لـذا عـرف بالصـالحي النجمي وكـان شـهماً بطلاً منصـوراً في حروبه، فتح عـدة بلاد منها بلاد النوبة الـتي كـان له فيها فتـوح عظيمة سـنة 687هــــ/1288م، ومن اهم اعماله تكوينه للفرقة البرجية، والـــتي بلغت عـــدتهم نحو ســـتة الاف رجل، وعمل منهم جمقدارية (الـــذي يمشي في المواكب السلطانية لحماية السلطان)، وجاشنكيرية (مهمتهم تذوق المأكول والمشروب قبل السلطان)، وسـلاحدارية (مهمتهم حمل سـلاح السـلطان)، وكون طائفة سماها البحرية، لان البحرية الصالحية تشتتوا بعد مقتل قائدهم اقطاي ايـــام المعز أيبك التركمـــاني ورتب لهم الجوامك والعليق واللحم والكسوة= =للمزيد من المعلومات عن سيرته واعماله السياسية والادارية انظر ناصر الـــدين عبد الـــرحيم بن الفـــرات، تـــاريخ ابن الفـــرات، تحق قسطنطين رزيق، ط1(بيروت: مط الأمريكانية، 1942م)، جـ 7، ص85وجـ 8، ص50؛ الاسحاقي،اخبار الاول فيمن تصرف بمصر من ارباب الدول، ص ص139-140وانظر ايضاً جميل حرب محمود حسين،المنصور سـيف الـدين قلاوون سـيرته وحروبه وعلاقاته الخارجية،(جامعة بغـداد: كلية الاداب، 197 5م).

2 (?) تعـرف بـذلك لوقوعها على جبل المقطم، والـتي امر السـلطان صـلاح الدين ببنائها سنة 572هـ/ 1176مكلفاً بذلك الامير بهاء الدين قراقوش ولم يكتمل بنائها الا في عهد الســلطان الملك الكامــل(615-635هـــ/ 1218-1237م) سنة 604هـ/1207م ومنذ ذلك الـوقت اصبحت مقـراً للسـلاطين الايوبـيين ومن بعـدهم المماليك.انظر ابن دقمـاق، الانتصـار لواسـطة عقد الامصـار، ص37؛ المقريـزي، الخطـط، جــ2،ص121وايضا حسن ابـراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى، ص 464

3 (?) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ 7، ص330؛ ابن العمـاد، شـذرات الذهب، جـ3،ص282 وانظر محمد فريد بك،تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط 1(القـاهرة: د. مـط، 1912م)،جــ1،ص86؛ حكيم امين السـيد، أيـام دولة

ووجدوها في بغداد، بعد الخطوة الـتي تبنت احيائها السـلطنة على يد السـلطان الظـاهر بيـبرس البندقـداري (658 –679هــ/ 1260 – 1279م)[1] لمـدة ثلاث سـنوات ونيف بعد ازالة حكم الـبيت العباسي على يد المغــول، وفي الــوقت نفسه، كــان ما تحقق من انجــازات لهؤلاء المماليك قائم على التحدي المستمر لسـلاطينهم من الاخطـار الخارجية التي واجهها المماليك متمثلة بهجمـات المغـول والصـليبيين على حد سواء الذين كانوا يهددون السلطنة المملوكية بين حين وآخر متمثلاً على ايدي المغول بخلفـاء هولاكو(ت 663 هـ/1265م) [2]على نحو هجمات أبقا (ت680هـ/1281م)[3] وحملات غـازان الكـبرى على

المماليك الثانية،ص11.

1 (?) هو من المماليك البحرية ولما صـارت اليه حكم مصر عمل على ابطـال كل ما احدثه المظفر قطز (657 – 658هـــ/ 1259 – 1260م) من المظالم، فعمد الى تصفية الاملاك وتقويمها واخذ زكـاة ثمنها في كل سـنة، وجباية دينار من كل انسان، واخذ ثلث الزكاة، وكتب بأبطال ذلك مسـموحاً، واول من اهتم بترتيب قلعة الروضة، فأعادها كما كانت، فكثرت بها المبـاني والعمارة.للمزيد عن حياته السياسية واعماله انظر السـيوطي،نظم العقيـان في اعيان الاعيان، ص ص102؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ1، ص94 وانظر ايضاً نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليـك، ص ص50 – 65؛ غوسـتاف لوبون، حضارة العرب، ص271وايضاً فيليب حـتي، تـاريخ العـرب، نقله الى العربية محمد مبروك، ط1 (بغـداد: مط النجـاح، 1945– 1946م)، ص ص 234 – 235؛ علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، ط1 (د. م: مط دار الكتب، 1969م)، جـ1 ص ص81 – 83؛ زامبـاور، معجم الانســاب والاسر الحاكمة في التــاريخ الاســلامي، تــر0زكي محمد حسن واخرين، ط1(القاهرة: د. مط، 1951م).

2 (?) عن هولاكو واعماله الحربية والسياســية انظر عبد الــرحمن فرطــوس حيــدر، الايلخــان هولاكو ودوره في نشــأة وقيــام الدولة الايلخانية،(جامعة بغداد: كلية الاداب 2003م) اطروحة دكتوراه غير منشورة.

3 (?)هو ابقا بن هولاكو بن تولي بن جنكـيز خـان ملك التتـار و طـاغيتهم، كـان ملك قليل القـدر عـالي الهمة شـجاعا مقـداما خبـيرا بـالحروب، وكـان على مذهب التتار واعتقادهم، تـوفي بنـواحي همـذان عن عمر ينـاهز الخمسـين. أنظر الصفدي، الوافي بالوفيات، جـ6، ص187؛ أبن حـبيب، درة الاسـلاك، ص70؛ المقريـزي، السـلوك، جــ1، ص704؛ أبن تغـري بـردي، النجــوم الزاهرة، جـ7، ص348؛ أبن العماد، ذرات الذهب، جـ5، ص366.

الشام (ت703هـ/1303م)[1] من جهة، وهجمـات متتابعة من صـليبي الساحل من جهة اخـرى، حـتى وقت تخلصـهم من اخطـار الصـليبيين بشـكل نهـائي ايـام حكم السـلطان الاشـرف خليل[2] سـنة 690هــ/ 1291م، فيما كــان الخطر الحقيقي لحكم هــؤلاء الســلاطين داخليا يظهر عـادة من لـدن امـراء المماليك انفسـهم من أتابكـة ومقـدمين وغيرهم الذين كـانوا غالبـاً ما يعـبرون عن طموحـاتهم بـالوثوب على السلطنة ومتوليها الملك الصغير عادة0

اما على المســتوى الــداخلي فقد تمــيز حكم المماليك البحرية والبرجية سوية بقيام تنظيمات ادارية وعسكرية جديـدة اعتمـدت في ادارتها على طبقة من المـوظفين الكبـار مارسـوا حق التصـرف في كل الامــور الســلطانية الادارية والمالية الــتي يتولــون مهامها**،**على الرغم من خضـوعهم لمراقبة السـلطان ومحاسـبته حينما يبـدر منهم خطر يهدد مصـالح السـلطان**،**مثلما سـنلاحظ لاحقـاً في حالة وظيفة كــاتب السر ايــام الســلطان المنصــور قلاوون بعد تحويل ولايتها في التسمية من ديوان الانشاء الى ديوان كاتب السـر.وبلا شك ان كثـيراً من هـــــــذه المناصب الادارية في عهد الدولة المملوكية الاولى تعد

---

1 (?) هو القان أيل خان معز الدين قـازان وقيل غـازان بن ارغـون بن هولاكو جلس على تخت الملك سنة 693هـ/ 1293م، وأسلم سنة 694هـ/1294م، وقد فشى الاسلام في ممالك التتار في عهـده وتسـمى محمـود، وكـان من أجّل ملـوك المغل من بيت هولاكو وهو صـاحب الوقعـات مع الملك الناصر محمد. تـوفي في الثـاني عشر من شـوال ودفن بتربته الـتي انشـاها خـارج تبريز. أنظر ابن حبيب، درة الاسلاك، ص122؛ نفسه، تـذكرة النبيـه،جــ1، ص182؛ ابن تغري بردي، النجـوم الزاهـرة، جــ7، ص ص212-213؛ أبن العماد، شذرات الذهب، جـ 5، ص366.

2 (?) هو صــلاح الـدين خليل ابن المنصـور قلاوون مكث في حكم مصر ثلاث سنوات ما بين 689 – 693هـ/ 1290 – 1292م وفي ايامه كانت الحروب قائمة على سـاقها مع الافـرنج في سـواحل الشـام فجلاهم منها وفتح عكا، وقد تـــوفي قــــتيلاً على يد احد امرائه. عن هــــذا الســــلطان. انظر ابن الفرات،تاريخ ابن الفرات، جـ 8، ص112؛ ابن تغري بردي، جـ5، ص ص82 – 90 وانظر أيضا علي مبـارك، الخطط التوفيقية الجديـدة لمصر القـاهرة، ص31؛ فليب حتي، تاريخ العرب، ص240**.**

امتداداً لتنظيمات ووظائف الايوبـيين الـتي سـبقتها في حكم مصر،إذ احيا السلطان المملوكي الظاهر بيبرس مثلاً وظيفة نائب السلطنة[1] الذي ابتدعه الأيوبيون قبلاً،بحيث يعدّ حقاً المسـؤول الثـاني بمـراتب الدولة بعد سلطان البلاد[2] لما له من صـلاحيات منها الاشـراف على كل امــور الدولة السياســية والادارية0 أما التطــور الآخر في نظم الادارة المملوكية في ذلك العصر فكـــان في غيـــاب نفـــوذ الـــوزير وتقلص مسؤولياته حتى ان سلطاته أصبحت لا تتعدى النظر في امور الدولة المالية مشاركة مع ناظر الدولة[3]وقد عمد السـلطان الظـاهر بيبرس ايضـاً الى تعـيين موظف كبـير لمهـام تنفيذ احكـام السـلطان يعـرف بأسم الـوالي ومعه موظفـون ولاة يمثلونه في بـاقي الاقـاليم يعرف مفردهم بأسم والي الولاة. واستمر الامر على هذا الحال حتى منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[4].

1) يعـبر عن صـاحبها بالكافل او كافل الممالك الاسـلامية، يحكم في كل ما يحكم به السلطان فيصدر التقاليد ويقـوم بـالتواقيع والمناشـير ويكـون على رأس نوابه في سائر الممالك بكتابه، كما يكاتب السـلطان ويـولي المناصب الا ما كـان منها جليلاً مثل منصب الــوزير وكـاتب السـر. انظر تـاج الـدين الســبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحق محمد علي النجــار واخــرون، ط 1(القاهرة: مط العاصمة، 1312هـ)، ص65؛العمـري، مسـالك الابصـار، جــ 9،ص55؛ القلقشـندي،صـبح الاعشى، جــ4،ص ص 16 –17؛ المقريـزي، الخطط،جـ3، ص215.

2) اصبح النـائب فيما بعد تـارة ينصب، وتـارة اخـرى يعـزل، خاصة في ايـام السلطان الناصر محمد اذ اختص بأخراج بعض الاقطاعات دون بعض واصبح ملازمـاً لنـاظر الجيش. انظر العمــري، مسـالك الابصــار، جــ9، ص10؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص27؛ المقريزي، الخطط، جـ2،ص40.

3) يقوم بنظر الـدواوين المعمـورة والصـحبة الشـريفة ومهمتهُ التحـدث في الامـوال وتفقد صـرفها وله يُرفع أليه حسـابها لينظر فيه ويدققـه، فضلا عن مساعدته للوزير في تسيير أعمال وزارته. انظر القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص31 وكذلك دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص 150.

4) مثلاً الاسـكندرية تحـولت من مجـرد ولاية يحكمها والي الى نيابة يحكمها نـــائب، بســـبب الاهمية التجارية الـــتي حظيت بها الاســـكندرية. انظر المقريزي،السلوك،جـ5، ص100وانظر ايضاً سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر في العصور الوسطى، ص82؛ سعيد عاشور: نظم الحكم والادارة، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، م3، ص268.

لقد اعتمد هذا الجهاز الاداري الضخم الـذي عرفته دولة المماليك على مجموعة كبيرة من الدواوين كـان يـديرها موظف خـاص عـرف بأسم نـــاظر او رئيس[1] وله ميزانية خاصة وعـــدد من المـــوظفين يتبعونه وينفـذون اوامـره. وقد اسـتمرت هـذه الـدواوين في النمو والتطور طـوال عصر سـلاطين المماليك، حـتى صـارت لها اوضـاعها الثابتة ونظمها الراسخة وتقاليدها الموروثة ادارياً وتنظيمياً0ومن اهم هـذه الـدواوين واكثرها انعكاسـاً على اسـتقرار السـلطنة هي ديـوان الجيش[2] وديوان الاحباس (الحبوس)[3] وكذلك ديوان النظر[4] وديوان الخـاص[5] وديـوان الانشـاء الـذي هو موضـوع دراسـتنا0 فضـلاً عن دواوين اخـرى كـانت اقل شـأناً من سـابقتها إلا أنها مرتبطة بها مثل ديـوان الاهـراء (الاهـرور)[6] وديـوان الطـواحين[7]0وكـذلك ديـوان المرتجعات[8] وكل هذه الـدواوين سـارت في ادارتها على نسق واحد

1 (?) الاسـعد بن مماتي، قـوانين الـدواوين، تحق عزيز سـوريال عطية، ط1 (القـاهرة:مط الجمعية الزراعية الملكية، 1943م)،ص298؛ عثمـان بن ابراهيم النابلسي، لمع القـوانين المضـيئة في دواوين الـديار المصـرية، ط1 (القـاهرة: مط مكتبة الثقافة الدينية، بلا0ت)، ص ص20-25وانظر ايضـاً ريـاض عبد الحسـين راضي البـدراوي، اسـعد بن ممـاتي وكِتابه قـوانين الـدواوين، (جامعة بغـداد: كلية الاداب، 1997م) رسـالة ماجسـتير، ص ص 145،147.

2 (?) مهمته الاشـــراف على كل ما كـــان يتعلق بالجند بمختلف طـــوائفهم. النابلسي، لمع القوانين، ص22.

3 (?) مهمته رعاية شـؤون المؤسسـات الدينية والخيرية من جوامع ومسـاجد ومـــدارس وربط وزوايا وغيرهـــا، كما يشـــرف على الاراضي والعقـــارات المحبوسة عليهـا، وتتطـور ليعـرف بـديوان الاوقـاف. أنظر النابلسـي، لمع القوانين، ص ص25-27؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ4، ص33.

4 (?) مهمته مراجعة حسـابات الدولة والاشـراف على أيراداتها ومصـروفاتها. المصدر نفسه جـ1، ص94

5 (?) انشأه السـلطان الناصر محمد بن قلاوون، مهمته يقـوم بمراقبة شـؤون السـلطان المالية ومراقبة خزانة السـلطان، وعهد بالاشـراف عليه الى موظف عرف بأسم ناظر الخاص. القلقشندي، جــ1، ص100؛ المقريـزي، الخطـط، جــ 2، ص277 وانظر ايضـاً الحسن بن محمد الـوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي، الادارة العامة في مصر، تـر. محمد حجي ومحمد الاخضر، ط1 (الرباط: د. مط، 1982م)، جـ2، ص231.

6 (?) مهمته الاشـراف على مخـازن الغلال السـلطانية. القلقشـندي، صـبح الاعشى، جـ12،ص33؛ المقريزي، الخطط، جـ2، ص225.

7 (?) مهمته الاشراف على طحن الغلال. القلقشـندي، صـبح الاعشى، جــ12، ص33.

8 (?) وهو ينظر في كل ما يتعلق بتركات الامراء. المصدر نفسه.

في اتصـالها من الناحية الادارية بالقصر بصـورة مباشـرة[1].ويبـدو ان لفظـــة ديـــوان صـــارت مع مـــرور الـــزمن تطلق على كل الادارات الصغيرة مثل ديوان الاصطبلات، وديـوان العمـائر وديـوان المـواريث الحشرية،الذي يشرف على أرث من يموت بـدون وارث، وغيرها من الدواوين الاقل اهمية0

وقد استحدثت في ذلك العصر كثير من الوظائف المهمة مثل امير جاندار[1] والحاجب[2]وايضاً الدوادار[3]الذي يعدّ عمله مرتبطاً بوظيفة كاتب السر في ديوان الانشاء0ويظل ديوان الإنشاء وصاحبه كاتب الانشاء، او كما اطلق عليه ديوان كاتب السر في دولتي المملوكية البحرية والبرجية ومقره في قلعة الجبل، وكان عمل الديوان هذا مرتبط بعمل السلطان؛ لذا تمتع هذا الاخير بالمنزلة

1 (?) كـان على رأس كل ديـوان موظف كبـير هو النـاظر الـذي يقـوم مقـام الـوزير اليـوم ويليه في الرتبة مسـتوفي الصـحبة ومسـتوفي الدولة وهما يشـــرفان على مـــوظفي الـــديوان ويليهم طبقة من المـــوظفين الكُتّـــاب ومسـاعديهم. انظر حسن ابـراهيم حسن، تـاريخ المماليك، ص336؛ علي ابـراهيم حسـن،= =مصر في العصـور الوسـطى، ص290؛ حسـنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الايوبـــيين، ط1 (القـــاهرة: مط جامعة القاهرة، 1964م)، ص ص80 – 83.

(1) اسم يتركب من ثلاث كلمات الاولى عربي وتعني امير والثانية بالفارسية جان وتعني الروح والثالثة دار وتعني ممسك فيصبح المعنى الامـير الممسك الـروح وصـاحبها كالمتسـلم للبـاب وله به البردقارية (السـتارة) وطوائف الركابية (وهم يحملـــون الغاشـــية من ســـرج من جلد مخـــروز بالـــذهب) والخازندارية (مسـؤولي خزانة السـلطان)، وهو الـذي يسـتأذن على دخـول الامراء للخدمة السـلطانية ويـدخل أمـامهم إلى الـديوان. العمـري، مسـالك الأبصار، ص ص 117ـ 118؛ القلقشندي، صبح الاعشى، جـ1،ص95وجــ5، ص ص459، 461؛ السيوطي حسن المحاضرة، ص 131

(2) مهمته الفصل بين الامـــراء والجند بنفسه او بعد استشـــارة الســـلطان. القلقشندي، صبح الاعشـى، جــ 12، ص 95؛السـيوطي، حسن المحـاظرة، ص 131

(3) مهمته تبليغ الرسـائل للسـلطان ويقـدم المنشـورات اليه للتوقيع عليها ونفس الاسم اطلق على صاحب البريد. العمري، مسالك الابصار، ص 118؛ القلقشندي،صبح الاعشى، جـ1، ص92؛ خليل بن شاهين الظـاهري، زبـدة كشف الممالك، ص ص100-101؛السيوطي، حسن المحاضرة، ص131

الاولى بين الدواوين العاملة ايام المماليك0وهو ما يتطلب التوسع والتعمق في دراسته وتقرير مهامه الادارية والسياسية0